صورة المرأة من خلال بعض

الحكايات الشعبية في المغرب

مقتطف من بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة

إعداد الطالبة:

مريم مرگـــوم

جامعة محمد الأول
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
وجدة

www.benisnassen.com

حكاية
ليلي يا ليلى

www.benisnassen.com

"كان يا ما كان في قديم الزمان رجل عجوز متزوج بامرأتين، إحداهما مجنونة، رزقها الله ببنت إسمها "لِيلَى"، والأخرى سوية العقل لديها ابن. كان زوجهما يطلب منهما في كل صباح أن يعطوه نصيبا من الفول ليزرعه، فيخرج مبكرا ويذهب لغار بعيد، فيأكل ذلك الفول فيعود إلى منزله متصنعا التعب، ثم يخلد إلى النوم. مرت أيام وهو على هذه الحال، وفي يوم من الأيام طلبت منه زوجتاه الذهاب للحقل الذي زرع به الفول لجلب ما تيسر منه، حينها أعطاهما الزوج عصاه وقال لهما:

– اذهبا وابحثا عن الفول، فإذا وجدتما حقلا به فول طوله مثل طول هذه العصا، فإنه ملكنا، فخذا منه ما شئتما.

ذهبت المرأتان فبدأتا البحث عن الحقل إلى أن عثرتا عن الفول الذي يوازي طوله طول العصا، فأخذتا تجنيانه، وفجأة سمعتا صوتا يناديهما قائلا:

– " الشْرِيكَاتْ بْلاَ زَرِّيعَة"، أي، أيتها النساء الغريبات، إنزعا الفول ما استطعتما، وتعالا نقتسم فيما بيننا.

حينها جمعت المرأتان الفول، ووضعتاه على ظهر الحمار، وذهبتا تجاه الصوت الذي ناداهما. وحينما وصلتا هناك وجدتا غُولَة، بثديين كبيرين، وشعر مشعث وكثيف، وأسنان كبيرة، ذات وجه مرعب. فأمرتهما بالدخول إلى منزلها، لتهيئ الطعام لهما، فدخلتا إلى المنزل، فذهبت ٱلْغُولَة إلى الحمار وقتلته، ووضعت رأسه في إحدى النوافذ المطلة على فناء المنزل، ثم هيأت لهما الطعام المتكون من عدس مليء بالقمل والدود ولحم الحمار، فقالت لهما:

– كلا واشربا، إن حماركما ينتظركما.

حينها أخذت المرأة المختلة عقليا تأكل بنهم، أما المرأة العاقلة، فقد أحست بالخطر، فتظاهرت بأنها تأكل. ولما همتا بالنهوض قالت لهما الغولة:

– أتركاني أساعدكما على حمل طفليكما.

حملت المرأة العاقلة إبنها بين ذراعيها، أما المجنونة فقد أعطت إبنتها للغولة لكي تساعدها في وضعها على ظهرها، لكن ٱلْغُولَة استبدلتها "بِمِهْرَازٍ"، دون أن تحس المرأة بذلك. فخرجتا متجهتين إلى منزلهما.

أما ٱلْغُولَة التي كانت تسكن في غار مرتفع عن مستوى الأرض بعدة أمتار، حملت ليلى بين ذراعيها، لتأكلها، فقالت:

– " إِلَى كْلِيتَكْ تَحْصَّلِيلِي فَالسَّنِّينْ وِإِلَّا خَلِّيتَكْ تَخَّرْجِيلِي عِلَّة " أي إذا أكلتك فلن أشبع منك، وإذا تركتك فلن آمن شرك. فأجابتها الطفلة قائلة:

– أرجوك لا تأكليني، وأعدك أن أكون لك عونا عندما أكبر. وفعلا لم تأكلها ٱلْغُولَة رفقا بها. فمرت السنوات وكبرت ليلى فكانت فائقة الجمال، ذات شعر طويل، أسود فاحم. فكانت الغولة حينما تريد الذهاب إلى الغابة، تطلب من ليلى أن تعطيها شعرها الطويل لكي تنزل قائلة: " لِيلَى يَا لِيلَى مَدِّيلِي سَالْفَكْ نَنْزَلْ "، وحين عودتها تطلب منها أن تعطيها شعرها لكي تصعد، قائلة: " لِيلَى يَا لِيلَى اعْطِينِي سَالْفَكْ نَطْلَعْ "، وحينما تصعد تعد شعر لِيلَى شعرة شعرة، وهكذا. وفي يوم من الأيام كان أحد أبناء عمها يلعب بالكرة فسقطت له الكرة في قصعة الطعام الذي كانت تعده جدته، فقالت له: " ٱلْخِيرْ ٱللِّي ادِّيرْ، رُوحْ وْسَلَّكْ بَنْتْ عَمَّكْ ٱللِّي رَاهَا عَنْدْ لَغْوَالْ أُو لَهْوَالْ " أي ألا تخجل من نفسك، أتحسب نفسك رجلا؟ إذا كنت كذلك، اذهب وانقذ ابنة عمك

التي اختطفتها ٱلْغُولَة. فذهب الولد إلى أمه وأمرها بأن تعد له قصعة من " بَرْكُوكَشْ(*)" للعشاء، وحينما حظرت ما طلبه منها، نادى جدته لتأكل معه، حينها أمسك يدها وأمرها بأن تخبره بقصة ابنة عمه كاملة، و إلا وضع لها يدها في الطعام الساخن. وبعد جدال طويل اضطرت الجدة إلى أن تحكي له القصة كاملة. وحينما عرف الحقيقة، قرر البطل الشجاع أن يذهب وينقذ ابنة عمه.

خرج البطل في رحلة للبحث عن مقر ٱلْغُولَة، وبعد عناء طويل استطاع أن يجد مقرها، فراقبها، وعرف طريقَ الوصول إلى ابنة عمه، فانتظر إلى أن خرجت الغولة، فذهب إلى غارها ونادى قائلا:

– " لِيلَى يَا لِيلَى مَدِّيلِي سَالْفَكْ نَطْلَعْ ". فقالت له ليلى أنت لست جدتي الغولة، فأجابها قائلا:

– أنا ابن عمك لا تخافي، ساعديني لكي أصعد وسوف أحكي لك القصة كاملة.

وفعلا أعطته شعرها فصعد، فتبادلا أطراف الحديث، فعرفت من تكون. ولما أحست بقدوم الغولة، خبأته تحت قدر كبير، فنادتها ٱلْغُولَة كعادتها، ولما صعدت وبدأت تحسب شعرها، وجدت خصلة ناقصة، حينها صرخت الغولة في وجهها قائلة:

– " شْكُونْ مَنّْ غِيرِي جَا وْدُخّْلِيهْ لْدَارِي، رَاهْ شَعْرَكْ نَاقَصْ؟"، أي من أدخلت إلى المنزل، وقد فقدت خصلة من شعرك؟. فردت ليلى قائلة:

– لقد هممت لإنقاذ الدجاج لأنه كان يتصارع فيما بينه، لذا فقدت خصلة من شعري.

ومع ذلك لم تقتنع ٱلْغُولَة بتبريرها وقالت لها:

---

*– بَرْكُوكَشْ: أكلة مشهورة بالمغرب، تسمى بالأمازيغية " ٱكْرِيرْ" أو " ٱكَارْبِيضْ"، وهو شبيه بالكسكس، إلا أن حباته ذات حجم كبير، وطريقة تحظيره مختلفة تشبه طريقة تحظير الحريرة المغربية.

– " رِيحَتْ ٱلْقَصْلَة وَٱلْبَصْلَة فِي دَارْنَا "، بمعنى أنني أشتم رائحة طعام غريب كالذي يحضر للغرباء؟. فقالت لها ليلى :

– ما هذا المزاح يا جدتي، من سيزورني غيرك، وأنا كما تعلمين مقطوعة من شجرة، لقد مللت طعام كل يوم! فقررت تجهيز أكلة جديدة لنتمتع بها سويا.

وهكذا استطاعت لِيلَى أن تقنع ٱلْغُولَة، فجلست أمام الطاولة لتناول الطعام، فنادت كل القدور لتجتمع وتشاركها الطعام و إلا كسرتها كلها قائلة:

– " أَيْيُومْتْ آ ثِيُوذَارْ ثْنْ يَقِيمَنْ أْتَرَّزْ"، أي إقتربي أيتها القدور وشاركينا الطعام، وإلا كسرتك.

اقتربت القدور نحو المائدة، إلا قدرا كان معزولا في أحد الزوايا لم يستطع الاقتراب، لأنه كان يخبئ ابن عم لِيلَى. وحينما أمرت بكسره، سارعت ليلى إلى دق مسامير كثيرة على جوانب ملابس الغُولَة دون أن تشعر بها، وقالت لها:

– أرجوك لا تكسري القدر المسكين لأنه تقدم في السن مثلك، لأنك لا تستطيعين بدورك النهوض. وحينما حاولت الغولة التحرك من مكانها ولم تستطع، تراجعت عن قرارها، وطلبت من لِيلَى أن تقدم الأكل للقدر العجوز.

وبينما هما يتحدثان، قالت لِيلَى:

– لماذا يا جدتي لا تدعيني أرى كل ما تملكينه من قوة؟. فبدأت ٱلْغُولَة تخرج رزما تخبئ بها قوتها وتقول:

– هذه قوة الريح، وهذه قوة الثلج، وهذه قوة التراب، وهذه قوة المطر، وهذه قوة الإبر... إلى أن أرتها جميع قواها، فغلبها النوم وتركت تلك الرزم على الأرض.

فقامت لِيلَى مسرعة، و أحضرت مهرازا، وبصقت فيه، ثم سرقت رزم القوى العجيبة، وهربت رفقة ابن عمها. حينها بدأ الديك يصيح قائلا:

- "كُوكُو عُوعُو لِيلَى يِويْتْ أُو عَامِّيسْ"، مخبرا بذلك ٱلْغُولَة بهرب لِيلَى.

لكن ٱلْغُولَة نادت ليلى:

- "لِيلَى آ لِيلَى". فرد اللعاب المنفوث في المهراز:

- نعم.

فنهضت وأكلت الديك لأنها اعتقدت أنه كاذب، دون أن تزعج ليلى. وكررت نفس الشئ مع جميع حيواناتها، إلى أن استفاقت من نومها، ونادت ليلى، لكن اللعاب كان قد نفذ فلم تسمع الرد، وحينما أزاحت الغطاء عن مكان ليلى لم تجدها، فأدركت أنها هربت وقد سرقت قواها السحرية، فقالت غاضبة:

- "بُومْ دَارَتْهَا بِيَّ قَبْلْ مَا نْدِيرْهَا بِهَا"، فأسرعت لكي تلحق بها، وفي هذه الأثناء أخذت ليلى تسأل القمر عن موقع الغولة قائلة:

- "أَيُورْ آ يُورْ مَانِي ثَلاَّ حَنَّ ثَامْزَة" أي أيها القمر أخبرني أين هي جدتي الغولة؟ فيجيبها القمر قائلا:

- "أُيُورْ أُيُورْ ثْلَحْكَدْ أَخَّمْ"، أي أسرعي فإن الغولة على وشك أن تمسك بك.

فأخرجت ليلى رزمة الريح ورمتها على الأرض، واضطرت الغُولَة لجمع الريح، ثم سارعت لتلحق بها، ثم أخرجت ليلى رزمة الثلج، فألقتها على الأرض، واضطرت الغولة لجمع الثلج، ثم سارعت لتلحق بها، وهكذا إلى أن أتمت الرزم كلها، فكانت آخر رزمة هي رزمة المطر، فتعبت ٱلْغُولَة ولم تستطع جمعه، ففصل بينهما واد كبير، شديد السيلان، فقالت ٱلْغُولَة لِلِيلَى:

- بحكم إرضاعي لك، و تربيتي لك، أتمنى أن يصيبك المرض، ولا تستطيعين المشي مجددا.

فوقعت لِيلَى أرضا، وردت على ٱلْغُولَة:

- بحكم اعتنائي بك كل هذه السنوات، أتمنى أن تسقطي أرضا دون حراك.

وفعلا لم تستطع الغولة الحراك.

ولما يئست ٱلْغُولَة من كل شيء، تمنت الشفاء العاجل لِلِيلَى، وفعلت لِيلَى نفس الشيء، فقالت لها ٱلْغُولَة:

– اذهبي فأنت حرة الآن، لكن إذا وجدت رجلا وقد سقط له حمل الشعير من فوق ظهر حماره فلا تساعديه، وإذا وجدت صقرين يتشاجران فلا تساعديهما.

وهكذا ذهبت ليلى رفقة ابن عمها، وبينما هما في الطريق وجدا رجلا وقد سقط له كيس الشعير من فوق ظهر الحمار، فهبا لمساعدته وسارا مرة أخرى، ولما لم يبق لهما إلا القليل لكي يصلا المنزل، وجدا صقرين يتشاجران فذهبا لمساعدتهما، لكن الصقر التهم ابن عم لِيلَى، وطار عاليا، فبقيت لِيلَى وحيدة تبكي وتنتحب، فقال لها ابن عمها:

– ابحثي عن جلد كلبة وارتديه لكي لا يصيبك أي مكروه، ثم دلها على منزله. وكانت أسرتها تقدم لها الطعام على أساس أنها كلبة، وكلما حل الظلام يناديها ابن عمها قائلا:

– " لِيلَى يَا لِيلَى، وَاشْ عَشَّاكْ ٱللِّيلَة"، أي ماذا قدموا لك من طعام؟ فتجيبه قائلة:

– " عَشَّانِي النَّخَّالَة وَرْكَادِي فَالْخَالْفَة"، وتقصد بذلك أن الطعام كان رديئا، وأن نومها كان في عتبة الباب. حينها يرد قائلا:

– " قَرْحْ مَّا قَرْحْ بَّا قَرْحْ ٱلْخِيمَة لَكْبِيرَة"، وبذلك يستنكر على أهله فعلتهم.

في يوم من الأيام قررت الأم أن تغير الطعام لِلِيلَى، وحينما سألها ابن عمها عن نوع طعامها قالت:

– " عَشَّانِي ٱلرَّفِيسَة وَرْكَادِي فْلَقْطِيفَة"، أي أن أهلها قد قدموا لها طعاما جيدا، وفراشا وثيرا.

فرد ابن عمها قائلا:

– " فَرْحْ مَّا فَرْحْ بَّا فَرْحْ اَلْخِيمَة لَكْبِيرَة"، معلنا بذلك عن فرحته. شكت الأم في الأمر، فذهبت عند أحد الحكماء وأخبرته بما تسمعه كل ليلة، فأشار عليها الحكيم بأن تذبح جديا، وتضع له الكثير من الملح، وتتركه أمام النهر القريب من منزلها، وتراقب ما سيحدث.

قامت المرأة بما طلبه منها الفقيه الصالح، فلما اشتم الصقر رائحة اللحم، نزل إلى الأرض وأخذ يأكل ويشرب الماء، إلى أن انتفخت بطنه، فلم يستطع التحمل، فتقيأ كل ما أكله، وقد سقط من جوفه ابن عم لِيلَى، ففرحت الأم وعانقته.

ولما وصل البطل رفقة والدته إلى المنزل طلب منها أن تزوجه بالكلبة، لكنها رفضت ذلك واتهمته بالجنون، لكنه أصر على الزواج منها، وفعلا تزوج ابنة عمه المتنكرة في زي الكلبة. وفي الصباح الباكر خرجت ليلى من خيمتها في أبهى حلة، وقد أذهلت الجميع بجمالها. وحينما رأى أحد الشبان الغيورين ذلك، قرر هو الآخر أن يتزوج كلبته، لكن في الصباح الباكر وجده أهله ميتا، وقد التهمت الكلبة أحشاءه. وهكذا عاشت لِيلَى في رفاهية مع أسرتها.

" وْ حَجَّايْتِي مْشَاتْ اَلْوَادْ اَلْوَادْ وْأَنَا بْقِيتْ مْعَ لَجْوَادْ " ".